الزهد فيها بالخوف لان من خاف ترك ثم يجعل الزهد مقاما في قلب الخوف رفعه عليه وقد روينا
مسروق عن ابن مسعود ركعتان من زاهد قلبه خير له واحب الى الله من عبادة المتعبدين
المجتهدين الى آخر الدهر ابدا سرمدا ولا نهاية للزهد عندنا لبعده من العارفين لانه يفرغ
عن نهايات مقاماتهم بوقوفهم في ابواب الدنيا وغايات الحوائج الهوى وقال بعضهم نهاية
الزهد ان تزهد في كل شيء ويتورع عن كل شيء للنفس فيه منفعة ويده واحدة بمكرا
كما روي عن عيسى صلى الله عليه وسلم انه وضع تحت راسه حجرا فكانه لما ارتفع
راسه عن الارض استراح بنزوله فجاء اليه ابليس فقال يا ابن مريم الست تزعم انه
قد زهدت في الدنيا قال نعم قال فهذا الذي وضعته تحت راسك من اي شيء
هو فقال فرمى عيسى بالحجر وقال هذا لك مع ما تركته ومثله روينا عن يحيى بن
زكرياء انه لبس المسوح حتى نقب جلده فيما لبسه اراد ان ينزع مدرعته الشعر و
يلبس مكانها جبة من صوف ففعل فاوحى الله اليه يا يحيى آثرت على الدنيا
فبكى ونزع الصوف ورد مدرعة الشعر على جسمه وكان الحسن يقول ادركت
سبعين من الاخيار ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا قط
كان اذا اراد النوم باشر الارض بجسمه وجعل ثوبه فوقه واعلم اني رايت
مجمل النعم ثلاثا وقد ما بان نعمة اجل النعم كلها الاسلام لان من ورائه
فضائل كثيرة اخطوا فيها حقيقة التوحيد ثم النعمة الثانية السنة ومن ورائها
بدع كثيرة كلهم اخطوا حقيقة السنة والنعمة الثالثة العلم بالله لان من
ورائه جهالا كثيرا بعظمة الله وقدرته ثم الزهد في الدنيا من اعطيه مع الثلاث
تمت عليه النعم فكان مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء و
والصالحين اي تمت الله عليهم لان من ورائه حرصا كثيرا على الشهوات ورغبة
عظيمة في الشهوات وقد كان سهل يجعل الزهد من شرطها السنة ولا يتبع
لقوله عز وجل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني قال فمن السنة اتباع الرسول وقد
كان زاهدا ثم تعاونوا الزاهدون لان شيء زهدوا مقاماتنا على نحو علوا لمشاهداتهم
فمنهم من زهد اجلالا لله عز وجل ومنهم من زهد حياء من الله عز وجل ومنهم من
زهد خوفا من الله ومنهم من زاد رجاء موعود الله ومنهم من زهد مسارعة فيما
لا والله ومنهم من زهد حياء لله وهو اعلاهم واما نا ومنهم من زهد مخافة طول الوقوف
ومناقشة الحساب كما قيل حرام الدنيا الرجل فيها يوم القيامة اشد حسابا لان فيها
الدرهم ولان طريق المؤمنين لا يسلكه من ملح من الدنيا وجها من نعيم ومما
احد يعطى من الدنيا شيئا الا قيل خذه على ذلك انه ادى ثلاثة وكذلك يشغل
وكذلك حساب وانا رجل من الاغنياء ليوقف للحساب ما اورد ما به يعني عطشه
على عوده لصروف دوا وانه ليرى منازله من الجنة فلما دخل جزائي فلوها الورعين

استيقعوا

أستنقعوا من طول الحساب بزهدهم في الجمع والمنع وما رفقوا فضول الاموال الطلبة خفة
السؤال وسرعة الوقوف في الاهوال ومن الزهد في الدنيا حب الفقر واهله ومجالسة
المساكين في اوطانهم والتنزل لهم كما كان مطرف يجالس المساكين في مرتبة تقربا
بذلك الى ربه وكان محمد بن يوسف الاصبهاني عالما زاهدا ومن الناس من كان
يفضله على الثوري الا انه كان يؤثر الخمول فلم يكن يعد من العلماء وكان من
حسن رعايته وشدة فطنته يعمل في كل وقت افضل ما يقدر عليه فيه لذلك الوقت
فلما طلبه ابن المبارك دار المصيصة قال له بعض من يعرف حاله انه لا يكون في
المسجد الا في افضل موضع فيه قال فجئت الى الجامع فطلبته فقيل له انه لا يقعد الا في
افضل مكان قال فطلبته عند الفقراء فاذا هو متوسد راسه واضع نفسه مع المساكين
المساكين فكان عنده ان افضل موطن في المسجد الجامع لانه يقال ان الصلاة فيه
خمسون صلاة وان افضل الاماكن موضع الفقراء من الجامع وان افضل الاحوال
الخمول فلذلك اخمل نفسه فيما بين الفقراء في الجامع فجاز فضائل الاعمال ومن الزهد
ان يكون يفرح بفقده مغتبطا مستشعرا العظيم نعمة الله عليه به يخاف ان يسلب منه
ويحول عن زهده كما يكون الغني مغتبطا بغناه يخاف الفقر ثم وجود حلاوة الزهد
حتى يعلم الله من قلبه ان القلة احب اليه من الكثرة وان الذل احب اليه من العز
وان الوحدة انس عنده من الجماعة وان الخمول احب اليه من الشهرة رهبة من اطلاعهم
اخلاصه في زهده روينا عن عيسى عن نبينا ايضا صلى الله عليهما اربع لا يدركن
الا بعجب الصمت وهو اول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشيء وقال
الثوري لا يكون الرجل عالما حتى يعد البلاء نعمة والرخاء عقوبة وقال بعض
السلف لا يبلغ العبد كمال الدين حتى يكون الفقر احب اليه من الغنى والذل احب
عنده من العز ومن روينا خبرا مقطوعا لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يكون
ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وحتى يكون قلة الشيء احب اليه من كثرته
وكان السلف الصالح يقولون نعمة الله علينا فيما صرف عنا من الدنيا اعظم من
نعمته فيما صرف الينا وكان الثوري يقول الدنيا دار التواء لا دار استواء ودار
ترح لا دار فرح من عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن على شقاء وكان سهل بن عبد
الله يقول لا يصح التعبد لاحد ولا يخلص له عمله حتى لا يجزع ولا يفرح من اربعة
اشياء الجوع والعري والفقر والذل كما روينا ان ابراهيم التيمي دفع اليه
خمسون الف درهم فلم يقبلها وقال الحمد لله ان اخواننا سمعوا من
يقول في الفقر تجلس البلا ومن الزهد عندنا ان زهد في فضول العلوم التي معلومها
تؤول الى الدنيا وتنزع الى الجاه والمنزلة عند ابناء الدنيا لا يحتاج فيه في
الاخرة ولا مزيد به عند الله تعالى وقد يشغل عن عبادة الله وتفرق الهم عند

Copyright King Saud University